مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/65

رت م د: 1112-685x
رت م د إ: 2588-2236

المجلد: 15 / العدد: 03 / ديسمبر 2022
ص ص: 212 ـ 227

صورة الاغتراب الروحي في الشعر الرومانتيكي عند الشاعرين "ألفونس دولا مارتين "*Alphonse de Lamartine*" و لمبارك جلواح"

The image of spiritual alienation in the romantic poetry of the two poets "Alphonse de Lamartine and Mubarak Jelwah"

صليحة بوعلي*
كلية الآداب واللغات
جامعة عباس لغرور
خنشلة / الجزائر
Souadbouali73@gmail.com

عمرو عيلان
يوسف الأطرش
كلية الآداب واللغات
جامعة عباس لغرور
خنشلة / الجزائر
Trandis40@gmail.com
Lettlang@gmail.com

تاريخ الارسال: 2022/02/08 تاريخ القبول: 2022/10/25 تاريخ النشر: 2022/12/31

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور الغربة الروحية والاغتراب في تقريب رؤية الشاعر الرومانتيكي من خلال ما يرسمه من صور تعكس إحساسه بالانفصال عن واقعه، وتجسّد أحزانه وآلامه، وما تضفيه تيمة الاغتراب من جماليات فنية تسهم في تطوير النسيج الشعري بما تولّده من تساؤلات تتقصى قصدية الشاعر المبدع وتبحث عن دلالات القصيدة من خلال هذه الظاهرة التي برزت في القصيدة العربية الحديثة والمعاصرة والتي تنبع عن نفس صادقة وتأتي نتيجة تصادم القيم الاجتماعية والنفسية والفكرية، فإلى أي مدى استطاع الشاعران (Alphonse de Lamartine) ولمبارك جلواح التعبير عن اغترابهما الروحي من خلال صورهما الشعرية؟ وهل هناك مواضع التقيا فيها بما يحقق سمة التأثير والتأثر التي تعكس التلاقح الثقافي بين الشاعرين الرومانتيكيين؟

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، الصورة، لامارتين، لمبارك جلواح.

* **المؤلف المرسل.**

Abstract:

This research aims to highlight the role of alienation in bringing the romantic poet's vision closer through the pictures he draws that reflect his sense of separation from his reality, embody his sorrows and pains, and the artistic aesthetics that the alienation theme adds to the artistic aesthetics that contribute to the development of the poetic fabric with the questions it generates that investigate the poet's intention The creator, and looking for the poem's connotations through this phenomenon that has emerged in the modern and contemporary Arab poem, which stems from a sincere soul and comes as a result of the collision of social, psychological and intellectual values. To what extent have the two poets (Alphonse de Lamartine and Mubarak Jalwah) able to Express their spiritual alienation through their poetic images? Are there places where they met in order to achieve the characteristic of influence and influence that reflects the cultural cross-fertilization between romantic poets?
Keywords: Alienation, photo, Lamartine, by Mubarak Jelwah.

مقدمة:

تعد الغربة الروحية والاغتراب ظاهرة أدبية عرفها الشاعر العربي منذ القديم، غير أن هذه التيمة تختلف طبيعتها باختلاف طبيعة العصر وظروف الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، هذه الأخيرة التي تشكل رؤيا الشاعر التي تتولد من خلال قلقه وانفعاله، ومن خلال ما تبرزه هذه الغربة الروحية من دلالات داخل القصيدة تعكس ما يعانيه الشاعر، وما تطرحه أفكاره ونفسه من أسئلة فنية وفكرية وكونية تسهم في التنامي والتطور. يتفاعل موضوع الاغتراب داخل إطار الصورة الشعرية، التي يرسمها الشاعر الرومانتيكي، ويتفرد بها، لتضفي جماليتها على القصيدة، وتفصح لنا عن معنى الاغتراب لدى الشاعر الرومانتيكي. هذا، لأن موضوع الاغتراب يختلف في مفهومه لاختلافه مكانيا وأنطولوجيا وروحيا وثقافيا؛ فالشاعر يعيش اغترابا متعدداً، اغترابا مكانيا مرتبطا بانتمائه الجغرافي، واغترابا فكريا ثقافيا يتولد من إحساس الشاعر بانفصاله عن النسق الفكري السائد في بيئته، واغترابا روحيا لما يحسه الشاعر من آلام الوحدة والبعد عن الأحباب وفقدانهم. فالاغتراب في كل الحالات شعور نابع من ذات صادقة، تعبّر عن تجربة شعورية.

تناولت في هذا البحث الموجز ظاهرة الغربة الروحية والاغتراب عند شاعرين رومانتيكيين من بيئتين مختلفتين، هما رائد الرومانتيكية الفرنسية الشاعر "ألفونس دولا مارتين" (Alphonse de Lamartine1790-1869) في قصيدته الموسومة بـ(العزلة

(L'isolement). ورائد الرومانتيكية الجزائرية الشاعر "لمبارك جلواح"، الذي لم ينل حقه من الدراسات الأدبية والنقدية، ولم يُسلط الضوء على أعماله الشعرية بشكل كبير. مما حفزني لأتناول نماذج متنوعة من قصائد "جلواح" منها: "قلب يحن وروح تئنّ"، "بين الدوح والزهرات"، وقصيدة "وداعا يا غرامي"، حيث ركزت في بحثي على الاغتراب الروحي الذي يجمع الشاعرين، ويعكس معاناتهما الروحية من خلال صورة "حب المرأة" وفقدان الحبيبة، الذي كان له تأثير بارز في رسم الصورة الشعرية التي يعبّر من خلالها الشاعران عن اغترابها الروحي، فرصدت أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشاعرين بهدف بيان سمة التأثير والتأثّر من خلال جملة الأسئلة التي حضرتني في إنجاز هذا البحث، كالآتي:

- ما مفهوم الغربة و/أو الاغتراب وما هي أنواعه؟
- هل عكست صور الشاعرين النزعة الرومانتيكية من خلال تعبيرهما عن اغترابهما الروحي نتيجة فقدان الحبيبة؟
- ما هي أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشاعرين انطلاقا من النماذج الشعرية المعتمدة ؟

أرجو أن يكون هذا البحث المتواضع إضافة بسيطة للدراسات السابقة في هذا المجال، وإثراء الساحة الأدبية.

1. مفهوم الاغتراب (Alienation)

برزت تيمة (الاغتراب أو الغربة) في الشعر العربي الحديث والرومانسي بشكل كبير وعرف مفهومه غموضا نتيجة للظروف المختلفة المحيطة بالمبدع والتجربة أو المواقف التي يمرّ بها، ويتجلى ظاهرة الاغتراب عند الشعراء الرومانسيين من خلال إحساسهم المرهف وحالة الشتات التي تدفعهم إلى رفض الواقع المزيف المتناقض والفرار منه بحثا عن عالم مثالي يغذي خيالهم الجامح.

"يعد الاغتراب ظاهرة قديمة قدم الإنسان في هذا الوجود فمنذ أن تكونت المجتمعات الأولى نشأت معها وفي ظلها الأزمات التي كانت تتمخض بشكل أو بآخر بأنواع من الاغتراب عانى منها الفرد وواجهها بحسب حجم طاقاته المادية والروحية فقد تقوده إلى التمرد والعصيان كما قد تفضي به إلى الاستسلام والانعزال".[1]

إنّ جوهر الصراع بين القيم الإنسانية والتقاليد ما يؤدي إلى الرفض والتمرّد والثورة على أساليب العيش هو من بواعث الإحساس بالغربة والوحدة والحيرة، وعدم القدرة على

التوافق مع المتغيرات الاجتماعية، ولقد يشعر المرء -وهوبين جماعته وقومه- بالغربة بل ويحس بها في داخله أحيانا، وليس غريبا أن يشعر المرء بالضياع وقسوة الوحدة النفسية والإحساس بالعجز والحيرة، فينكفئ على الذات ويتخذها محورا لحياته وذلك لما انتابه من تمزق داخلي وألم نفسي، ومن ثم تتسرب بواعث الاغتراب إلى روحه، وتسري في كيانه، حتّى يكاد المرء أن يصير غريبا عن كل ما يحيط به؛ إمّا لعدم استطاعته تحقيق طموحات الذات المستترة، أو لضعف القدرة على مواجهة الضغوط الخارجية أو اختلاف التوجّه الفكري".[2]

الاغتراب حالة شعورية تنتاب الشاعر فتلهمه المعاني الوجدانية التي تتدفق نتيجة الإحساس المرهف، ويصدر عن نفس تائهة بين عالم تتوق إليه وآخر تعيش في حياد عنه، فيطلق الشعر صرختـه معـبرا عن حالـة الشتـات التي يعاني منها بأسلـوب فني تمتزج فيه دقـة الألفاظ وعمق التجربـة والنظرة الفلسفيـة للحياة التي يسعى من خلالها الشاعر إلى إثبات وجوده.

"الاغتراب فترة من الفترات يعيشها الإنسان أحسّ فيها باختلال توازنه، ويصبح عاجزا على التوافق مع حاضره وإتلافه وقد جاء في تعريف الاغتراب لغة: غرب أي ذهب وتنحى من الناس والتغريب يعني البعد والغربة تعني النزوح عن الوطن والغريب هو البعيد عن وطنه."[3]

"أما الاغتراب اصطلاحا لقد ورد في القاموس الانجليزي مصطلح الاغتراب (Alienation) مشتق من الصفة (Alien) وتعني غريب، أو أجنبي وترجمة Alienation الحرفية تعني أبعاد وتحول أو غربة عن المجتمع، والاغتراب ظاهرة برزت من خلال المشاعر والأحاسيس، واجتمعت على تعميقها وتثقيفها عوامل اجتماعية، سياسية واقتصادية، حتى أصبحت حالة ملازمة ومصاحبة للوجود والنفس والواقع. والاغتراب كامن في كل العصور ولكنه لا يتخذ بالشكل نفسه والكثير من الظواهر التي تدرج معاني الوقت الحالي تحت هذا الاسم، ترجع أساسا إلى سببين هما:

الثقافة الشعبية والانفجار السكاني، وبقدر ما يحتوي الاغتراب شعورا مؤلمًا بالعزلة والتشكك في النفس والإحباط، بقدر ما يبدو أن هناك نوعين من البشر: القلة يمكنها بتميزها بالقدرة على الخلق ومعالجة الاغتراب والكثرة التي لا تستطيع ذلك لافتقادها لهذه القدرة."[4]

نفهم مما سبق أن ظاهرة الاغتراب أو الغربة ارتبطت في تكوينها بعدة عوامل انصهرت في نفسية الشاعر المبدع، منها ما يتعلق بالظروف الاجتماعية أو العاطفية أو السياسية أو الفكرية وغيرها من العوامل الأخرى التي أفرزت حالة شعورية تنبع من إحساس الشاعر بوحدته وغربته بسبب عدم فهمه أو تقبله للعالم الذي يعيش فيه.

2. مفهوم الغربة:

"تعد الغربة من أغراض الشاعر الوجدانية، التي يعبر من خلالها عن أرزائه، ومحنه وأحاسيسه المؤلمة، وإذا تحدثنا عن الغربة من زاوية نفسية فهي عاطفة تتملّك وتستولي على الشعراء، حيث يعيشون في قلق وكآبة نظرا لشعورهم بالبعد عن من يحبونهم، وتقترب الغربة من مفهوم الاغتراب، فهما لفظان يشتركان في الدلالة على الحالة النفسية التي تصور مدى انعدام السلطة، والانخلاع والانفصال عن الذات والأشياء والتذمّر والعزلة".[5] والغربة من الموضوعات التي تغذي الشعر الرومانتيكي وتزيده عمقا، ففي اضطراب الذّات الشاعرة وانكسارها وانطوائها وعزلتها تكمن قضايا الواقع المحطم وأزماته، وهذا ما يفضي إلى الوحدة والضياع والتعب الروحي، ويعد موضوع الحب من الموضوعات التي اهتم بها الشعراء الرومانسيون ومن خلاله يجسد الشاعر هويته الذاتية في التنوع، غير أن هؤلاء الشعراء اتسمت تجاربهم بالإخفاق والخيبة والحيرة، وتحولت معظمها إلى صورة واحدة تختلفي شكلها وتتحد في معناها، فقد عبّر الشعراء الرومانسيون عن صور الإحباط والإخفاق فحددت أطر وملامح تجاربهم الاغترابية".[6]

فالغربة إذا، حالة شعورية، يعيشها الشاعر الرومانتيكي في عزلة مع الطبيعة، التي يرتمي في أحضانها ويشتكي إليها معاناته وحزنه، وتقاسمُه كآبته وإحساسَه بالحرمان من الحب الذي يتوقــه ولا يتحصل عليـه في واقـع مادي يراه مزيفا، فيسافر بخياله الجامح ليرسم صوره في عالمه الخاص العالم المثالي الذي يجده في نقاء الطبيعة بكل عناصرها، ومهما اختلفت موضوعات الغربة وتنوعت من غربة في الكون أو في المدينة التي يرى فيها الشاعر الرومانتيكي طغيان الجانب المادي فإن هذه الغربة تبعث الوحشة والإحساس بالضياع مما يدفع بالشاعر إلى العزلة.

3. الاغتراب في الشعر العربي الحديث:

"توسعت ظاهرة الاغتراب في العصر الحديث لتشتمل مناحي كثيرة سياسية واقتصادية وثقافية، وقد بدأت الظاهرة نتيجة لعدة عوامل تفاعلت فيما بينها وشكلت العقلية العربية التي يشوبها كثير من الإحباط والضعف، حيث كان للدولة العثمانية الأثر الكبير في محاولة طمس الهوية العربية وطبعها بما يتفق مع طبيعة الاستعمار وفرض القطيعة المؤدية إلى إنهاء التواصل الحضاري للأمة العربية، وقد أعقب هذه المرحلة مرحلة أخرى تتمثل في الهيمنة الاستعمارية الأوروبية، حيث عمل فيها المستعمر على تغييب الوعي العربي وتوجيهه نحو جهة أخرى هي ما نسميه التغريب الذي يشكّل أهمّ ملامح الاغتراب في النفسية العربية، لقد اتضحت ملامح الغربة بعد الحرب العالمية الثانية في المجتمعات الرأسمالية نتيجة لتعقد العلاقات الاجتماعية والقوانين اللاإنسانية كما ظهرت تيارات مختلفة تعاملت بعضها مع الواقع بشكل سلبي فهرب منه الأديب ملتجأ إلى واقع خيالي في نفسه لأنه لا يرى إمكانية التغيير للواقع".[7]

ظاهرة الاغتراب والإحساس بالغربة والقلق بارزة في الشعر الرومانتيكي بكثرة، ويعد شعر الاغتراب مخرجا للنفس من محبسها ومتنفسا، وتكون الغربة أحيانا نتيجة طبيعية للحاجات المادية فالخصب والخير قُربٌ والجفاف والجدب غربة، والاطمئنان أنس والخوف غربة...

4. أسباب الغربة والاغتراب:

"ثمة دوافع تساعد على ظهور الاغتراب في المجتمع وفي الفرد ذاته، فالاغتراب شعور تتصل أبعاده بتمزق الذّات وانفصالها عن الجماعة وابتعادها عن البشر فالمغترب يرتفع بالنفس من حالات السقوط والتردّي والانسياق وراء صيحات منفردة، وهو ممتلئ النفس بالطموحات المتعدّدة وثائر على الأوضاع، وتتجلى بواعث الاهتمام بقضية الاغتراب في الشعر الذي يبرز نماذج تدلل على الهجرة الداخلية حلما بالخلاص وهروبا من العجز من محاولة تغيير الواقع".[8] "والاغتراب هو ابتعاد نفسي وقد يكون نتيجة للغربة فنجد الشاعر نفسه غريبا عن أهله ومغتربا عن نفسه في آن واحد، وهذا ما يؤجج النفس ويدخلها في ميادين الحزن والاكتئاب واليأس فيتحرّقَ الشاعر وجداً إلى أهله وأحبته، أو يتحرق إلى الآخر الذي يظل بعيدا عنه، وقد يختار الشاعر اغترابه النفسي."[9]

تعددت أسباب الاغتراب خاصة الروحي منه، وقد يختار الشاعر غربته التي تمنحه القدرة على التعبير وتصويرها بالكلمات المنتقاة من قبله بدقة ووعي بحالته الوجدانية وهذا يمنحه الإحساس بتجاوز العجز الذي قد يحرمه من إيصال رسالته والبوح عن مكنونات نفسه، والبحث عن الذات الضائعة في هذه الكلمات.

5. أنـواع الاغتـراب:

"إنّ الاتساع في معاني مصطلح الاغتراب جعل من الصعب إعطاء مفهوم محدّد له بسبب التداخل بين أنواعه، إذ إنّ الاغتراب السياسي يؤثر في الاغتراب الاجتماعي، وهما يؤثران في الاغتراب النفسي، ومن ذلك كلّه يمكن القول إنّ مضامين مفهوم الاغتراب قد تعدّدتْ"،[10] وبالتالي ظهرت من هذه المفاهيم أنواع الاغتراب كالآتي:

أ. الاغتـراب الاجتمـاعي:

هو الشعور بعدم الاندماج والتكيف الاجتماعي نتيجة لضعف الروابط العاطفية أو ضعف الاتصال الاجتماعي بين الأفراد، فيحدث فتور في العلاقات الاجتماعية.

ب. الاغتـراب الذاتـي أو النفسي

يقع نتيجة لشعور الفرد بانفصاله عن ذاته، أو نمط من التجربة يرى الفرد نفسه فيها غريبة، حيث يصبح الفرد منفصلا عن ذاته.

ج. الاغتـراب الفكـري والثقـافي:

"هو أن يشعر الفرد أن أفكاره ومبادئه تكون مناقضة ومغايرة للمعايير والأفكار السائدة في مجتمعه، فيحدث الانفصال بين ثقافته وثقافة المجتمع".[11]

"إن الشعور بالاغتراب سمة انتشرت في الشعر الرومانتيكي وذلك عند الغرب والعرب على حدٍّ سواء، ونشأت هذه الظاهرة كرد فعل شعوري يعبّر من خلاله الشاعر عن تمرّده ورفضه لمتناقضات الحياة، أو هروبا من الواقع الذي يحرمه أشياء يتوق إليها، ويعجز

عن تحقيقها لقد اختلف الشعراء الرومانسيون في طريقة وأسلوب التعبير عن اغترابهم استنادا إلى التجربة التي عاشوها والموقف الذي مرّ بهم، ويمكننا أن نكشف غربة الشاعر من خلال نصه الشعري والإحاطة بالصور التي يرسمها ويبتكرها متوسلا خياله الجامح ليسمو بأفكاره بعيدا عن الواقع المادي وينشد عالمه المثالي الخاص به مازجا عواطفه وأحاسيسه المرهفة لتهوّنَ عليه ما يعانيه من غربة" قد يختار الشاعر اغترابه الروحي كما في

قصيدة (العزلة "L'isolement[12]") للشاعر الفرنسي"ألفونس دولامارتين (Alphonse de Lamartine*) والتي يعبر فيها عن وحدته الروحية، ونلمس من خلال هذه المقاطع أن لامارتين يشعر بالوحدة وقد اختار الطبيعة ليعتزل الناس، لأنه يعاني من غربة عاطفية واغتراب روحي ورغم المناظر الطبيعية الخلابة التي تحيط به فهو يقول:« على الجبل وفي ظل سنديانة عجوز وقت المغيب كثيراً ما أجلسُ كئيبا؛ لقد عاش " لامارتين" تجربة حب عميقة حيث التقى بحبيبته "جولي شارل (Julie Charles) خلال فترة استشفائه في السادسة والعشرين من عمره على بحيرة "بورجيه"(Le lac de Bourget) كان حبّاً روحيّاً صوفيا، يسمو على الرغبات الجسدية، وبعد تعلُّقهما الرُّوحي شاءت الأقدار أن يفترقا إلى الأبد، وذلك بموت (جولي) التي كانت تعاني من مرض السل، وكانت صدمة موجعة للشاعر "لامارتين"، أحس بعدها بالوحدة وفضّل الاعتزال والخلوة، حيث جعل من الطبيعة رفيقا وصديقا يبثُّ إليها أوجاعه، ويشتكي غربته وحنينه لأيّام ذهبت دون رجعة بغياب حبيبته "جولي" فيقول:

Souvent sur la montagne, à l'ombre du vieux chêne
Au coucher du soleil, tristement je m'assieds
Je promène au hasard mes regards sur la plaine
Dont le tableau changeant se déroule à mes pieds
Ici gronde le fleuve aux vagues écumantes
Il serpent et s'enfonce en un lointain obscur
Là, le Lac immobile étend ses eaux dormantes
Où l'étoile du soir se lève dans l'azur [13]

على الجبل وفي ظلِّ سنديانة عجوز وقت المغيب
كثيراً ما أجلسُ كئيباً
أُلقي نظراتي بين الحين والآخر
على السهل الذي تنبسط لوحته المغيّرة أدنى قدميّ
هنا يصطخب النهر بأمواجه المُزبدة
يتلوّى ويغيب في ظلام بعيد
وهناك تمدُّ البحيرة الساكنة مياهها النائمة حيث تبزغ
نجمة السماء في زرقة السماء[14]

Au sommet de ces monts couronnés de bois sombres
Le crépuscule encor jette un dernier rayon
Et le char vaporeux de la reine des ombres
Monte, et blanchit déjà les bords de l'horizon
Cependant, s'élançant de la flèche gothique
Un son religieux se répand dans les airs
Le voyageur s'arrête, et la cloche rustique
Aux derniers bruits du jour mêle de saints concerts [15]

على هذه القمم المتوجة بالغابات السوداء
يرشف الشفق شعاعه الأخير
وعلى جناح الأبخرة تنهض مركبة القمر مليك الظلام
فتنبض منها حواشي الأفق
في ذلك الحين, ومن أعلى برج كنيسة غوطيّة
ينداح* في الهواء صوت نداء ديني
فيتوقف المسافر ويمزج الجرس الريفي
ألحانه المقدّسة بأواخر ضجيج النهار

"هكذا دخل (لامارتين) الحياة مشغوفًا بالمثالي والجميل ومعتقدا بالسعادة والفضيلة فكان يبحث عنهما في المجتمع فلا يجدهما فيلجأ إلى الطبيعة، وهذه تحدّثه عن الله، فيسمو بشعوره نحوه حتى يغيب فيه بنشوة صوفية، ونلمس في هذه المقاطع صدق التعبير عند (لامارتين) وقوة الإيحاء"[16] في التعبير عن اغترابه الروحي ويواصل في رسم معاناته بقوله:

Mais à ces doux tableaux mon âme indifférente
N'éprouve devant eux ni charme ni transports
Le soleil des vivants n'échauffe plus les morts
Je contemple la terre ainsi qu'une ombre errant
De colline en colline en vain portant ma vue
Du sud à l'aquilon, de l'aurore au couchant
Je parcours tous les points de l'immense
Et je dis: "Nulle part le Bonheur ne m'attend [17]

لكن روحي لا تبالي بهذه اللوحات الجميلة
ولا تحس أمامها أيّ سحر أونشوة
فأنا أتأمل الأرض بروح ذاهلة
وشمس الأحياء لا تدفئ الموتى!
من تلٍّ إلى آخر، ومن الجنوب إلى الشمال

ومن الفجر إلى المغيب عبثا أنقل ناظري
إنّي لأذرَعُ ببصري كل نقطة في ذلك المدى الفسيح
وأقول: ما من سعادة تنتظرني في أي مكان![18]

رغم مشاهد الطبيعة بمناظرها المتناغمة فالشاعر يشعر بالحزن والكآبة واليأس، هذه العناصر التي غذّت اغترابه الروحي وحرمته من السعادة التي لا يحسّ بها بعد فقدانه لحبّه الكبير، إنّ سمة الشعراء الرومانتيكيين أن يجعلوا من الطبيعة ملجأ يحتضن آلامهم ويهون أوجاعهم، ويتنامى شعور(لامارتين) بالغربة ويقع فريسة لليأس والحزن نتيجة الحرمان وقد أدرك أنه لا جدوى من حياته بلا حب ويحاصره الاغتراب فيقول:

Que ne puis-je porté sur le char de l'Aurore
Vague objet de mes vœux, m'élancer jusqu'à toi
Sur la terre d'exil pourquoi resté-je encore ?
IL n'est rien de commun entre la terre et moi
Quand la feuille des bois tombe dans la prairie
Le vent du soir se lève et l'arrache aux vallons
Et moi, je suis semblable à la feuille flétrie
Emportez-moi comme elle, orageux aquilons ![19], [20]

ألا يمكنني أن أطير إليك على أجنحة الفجر؟
لماذا تستمر حياتي في منفاي الأرضي؟
حيث لا شيء مشترك يجمع بيني وبين الأرض
عندما تسقط على المرج ورقةٌ من الغابة
تهُبّ رياح المساء فتنقلها إلى الوادي
و أنا غدوتُ مثل الورقة الذابلة
فاحملييني مثلها يا عواصف الشمال... [21] !

"يرسم (لامارتين) صورة رائعة يشخص فيها عناصر الطبيعة الحضن الذي يجد فيه مواساة لحزنه ومعاناته المأساوية واغترابه ويقدم صورة للإنسان البائس الذي يشتهي الموت ليحمله إلى العالم الآخر أين يلتقي مع محبوبته (جولي).ولقد عبّر الشعراء الرومانتكيون العرب أيضا عن اغترابهم وقد تنوعت قصائدهم واختلف تعبيرهم باختلاف الموقف الشعوري المتولد عن التجربة الشعرية التي عاشها كلٌّ منهم. والشاعر الجزائري لاذ إلى كتابة الشعر للتعبير عن نكبات النفس لترجمة الأحاسيس والأفكار والعواطف لاغترابٍ عاشه".[22]

"ومن نماذج هؤلاء الشعراء الشاعر الرومانتيكي المرهف الحس"لمبارك جلواح"* الذي سقى روضة الاغتراب العميق المتجذّر في النفس وكان ذلك نتيجة الحياة التعيسة والحرمان من الوطن ومن الأهل ومن الحبيبة، ويتجلى هذا الاغتراب من خلال صوره الشعرية الحزينة والرثائية والبكائية للوجود وللنفس، يبدو ذلك جليا في عنوان ديوانه (دخان اليأس) الذي يكشف عن نفس قلقة متشائمة، لقد استطاع " جلواح" أن يوجز خلاصة تجاربه ومن هنا يبرز وعيه في اختيار العنوان الذي يعدّ مدخلا أساسيا لإدراك تجربته الشعرية ويكشف معاناته النفسية والانكسار الذي أطاح بذاته وأشعل فؤاده فلم يحصد سوى الآلام والجراح فانتحب له القرح وخيّم عليه الضجر في وقت كا فيه بحاجة إلى من يضمّد جراحه، لأنه عانى الفشل في تجربته مع الحب[23]"، وقد عبّر الشاعر عن اغترابه الروحي في قصيدة(قلب يحن وروح تئِنُّ)[24] التي يقول فيها:

ترى أنت تحسبني قد سلوتُ ... فأرّق قلبي هواك العطر
محال فما لي من سلوة ... لي أن أغيب تحت الحفر
توالت سنون وراء سنين ... وطيف خيالك ملء البصر
يعرج دوما بوجدي إلى ... ما مخيلتي كالقمر
فبرز لي خلف أستارها ... تصاوير ذاك الزمان النظر

نلمس من خلال الأبيات تصوير الشاعر "لمبارك جلواح" للانفعالات التي تنتابه من فراق وإخفاق في الحب، فتيمة (حب المرأة) والشغف بها ميّزت قصائد الشاعر، فقد فشل في حبه الذي تعذّب به مع امرأتين، الأولى بالجزائر وقد ماتت في ريعان العمر فبكاها بالدمع وتحسر على رحيلها سهادا وعبرات حارة وقد قال لما وقف على قبرها:

هنا بين الدّوح والزهرات ... غسلتك قبل الدّفن بالعبرات
هنا راعَني فيك القضاء بضربة ... فقدت فؤادي بعدها وحصاتي
وخلفي في ذا المغاور شاردا ... أسائل عنك الأفق والربوات
وأبحث عن وجدي عليك ولوعتي ... سوى صور الخيبات والحسرات
أيا أملي هل أنت تعلم زورتي ... وتسمع لي تحت ذا الصخرات؟
وكيف وجدت السابقين من الورى ... أفي غفوة أم في وطا الفجوات؟
مرادي أن تدري بما بتّ أشتكي ... وراءك من الويلات والنكبات[25]

يناجي (مبارك جلواح) في هذه الأبيات حبيبته التي خطفها الموت، حيث ينقل لنا معاناته وغربته الروحية ويرى الحياة ظلاماً يفتقد إلى نور حبيبته ويبث أشواقه المتأججة ويتوق إلى دفء المحبوبة التي لم يحظ بقربها، وفي قصيدة (وداعا يا غرامي) يواصل الشاعر التعبير عن آلامه وتعبه الروحي والعاطفي حيث يقول:

دنوت فروعتُ الهدايةٍ بالحُجى ... وبنتُ فضعضعت الفؤاد بنقرس*
وبدّلتُ آمال الفُؤاد بخيبة ... وعوّضْتُ نعْماءَ الفؤاد بِأَبْؤُسِ
وعفرت رأسا طالما سجدت له ... إذا ما بدا للناس أشرف أرؤس
أجل أنتِ سهمٌ لا يصيب به القضا ... سوى كلّ ذي قلب زكي وكيسِ
لقد كنت أشكو منك شدّة وطأةِ ... فما لي أشكو اليوم فقد التأنّسِ

"نلاحظ في هذه الأبيات أن (مبارك جلواح) قد مرّ بتجارب عاطفية قاسية تركت أثرها في حياته وأدبه."[26] فكان يشكو من عذاب الحب ويغترف مرارة البعد الذي ولّد في نفسه شعورا بالاغتراب والعزلة التي تميل به إلى الحزن والاكتئاب، والإحساس باليأس فتبدو الحياة موحشة ويزيد من حنينه إلى الحبيبة الغائبة وتغمره سوداوية الوجود الذي لا يتوافق مع آماله وطموحاته ونجد حبّ المرأة واتخاذها رمزاً للوطن والحرية والأمان سمة اشترك فيها الشعراء الرومانتكيون وتحتل هذه التيمة حيزا من الاهتمام والعناية في قصائد مبارك جلواح.

6. أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشاعرين الرومانتيكيين (لامارتين ومبارك جلواح)

لقد عبّر كلاّ منهما عن إحساسهما وشعورهما الصادق المتدفق من نفس متألمة حزينة تأسى لفراق الحبيبة، وقد رسم كلاهما صوره التي تتناغم فيها الألفاظ والعبارات في نسيج لغوي مؤثّرٍ يحمل بين ثناياه لمسة رومانتيكية للشاعرين (لامارتين ومبارك جلواح)، وكانت صورة (الحب والمرأة) موضوعاً مشتركا بينهما وهو مبعث اغترابهما، وشكلت صور (لامارتين) الشعرية لوحة مستوحاة من قاموس الطبيعة حيث عاش حبه النقي الصوفي مع حبيبته (جولي) على ضفاف بحيرة (Bourget) هذه الأخيرة التي تقاسمت معه ذكرياته وحفظتها فكان يحاورها مسترجعا أجمل اللحظات التي قضاها مع حبيبته والتي تشهد عليها ضفاف البحيرة وما يحيط بها من الجبال والأشجار «على جبل وفي ظل سنديانة... هناك تمد البحيرة الساكنة مياهها...على القمم المتوجة بالغابات...» فكانت الصور أعمق في التعبير عن معاناته وإحساسه بالاغتراب الروحي الذي حمله على حبّ العزلة، فهولا يبالي بهذه الطبيعة رغم جمالها وروعتها

«لكن روحي لا تبالي لهذه اللوحات الجميلة» لقد لجأ الشاعر إلى الطبيعة لأنها الملاذ بالنسبة إليه في سكونها ونقائها وهي سمة اختص بها الرومانتيكيون ويفرون إليها رفضا وهروبا من الواقع الذي لا يتلاءم مع رغباتهم المكبوتة فكانت وسيلتهم للتأمل الصوفي والبوح بما يختلج في صدورهم وما تعانيه هذه النفس من اغتراب روحي.

وتشابه "مبارك جلواح" مع "لامارتين" في توظيفه لقاموس الطبيعة لكن خياله كان أقلّ حِدّة وجموحاً من خيال "لامارتين"، لأن الشاعر جلواح مال بعض الشيء إلى المحافظة على أصالته التي تعكس ثقافته العربية الإسلامية، لكن نزعته الرومانتيكية بدت ظاهرة جلية في تمرّده على واقعه ورفضه له متأثرا بالشعراء الرومانتكيين.

خاتمـــة:

يشكل الاغتراب ظاهرة ارتبطت يشكل الاغتراب ظاهرة ارتبطت بالإنسان منذ وجوده ولم تنحصر في حقبة زمنية محددة، وقد تنوعت أشكال الاغتراب منه الاغتراب (الاجتماعي والمكاني والفكري والثقافي...)، وأهمها الاغتراب الروحي الذي يعكس معاناة الإنسان من الوحدة والحرمان العاطفي، وهو ما لمسناه لدى الشاعرين الرومانتيكيين" لامارتين ومبارك جلواح" فبالرغم من اختلاف البيئة التي عاشا فيها إلا أنهما التقيا في موضوع (حب المرأة) والذي تولد عنه شعورهما بالاغتراب الذي عبّرا عنه بتوسل الصورة الشعرية التي تحمل دلالات عميقة تعكس النزعة الرومانتيكية لكليهما فكانت الصور أكثر إيحاءً وتأثيراً وإن اختلفت طريقة تشكيلها عند الشاعرين فهي تلتقي عند غاية واحدة هي التعبير الصادق عن الشعور بالاغتراب، وتظهر صور "لامارتين" بالحيوية التي بثها في عناصر الطبيعة بخياله الجامح الذي تجاوز به واقعه المرير ليستعيد ذكرياته الجميلة التي لا يجد السعادة بعيدا عنها ويتوق إلى الانتقال إلى العالم الذي يجد فيه هذه السعادة مع حبيبته التي فقدها وكانت صور " جلواح" ممزوجة بعناصر الطبيعة أيضا لكنها كانت أكثر تجريدا، حيث امتزجت بإحساسه العميق بالاغتراب الروحي المتولد عن فقدانه لحبيبته فكانت مسحة التشاؤم والإحباط واضحة تصدر عن نفس مضطربة بين واقع ترفضه وتتمرد عنه ورغبة مغادرته والرحيل عنه لأنه حال بينه وبين ما يطمح إليه، وبذلك تفنى الذات في العالم الآخر تأمل وتحلم وتعانق الطبيعة التي تخفف من معاناتهم في العالم المادي المزيف وتعكس هذه القصائد رؤية الشعراء إلى الوجود والكينونة التي تفرضها الظروف المحيطة بهم مما يحفزهم إلى الإبداع والتألق بألوان من التعبير الملون

بألوان الخيال الجامح يسمو من خلاله الشاعر إل الآفاق البعيدة عنه، حيث يطبع كل شاعر قصيدته بمزاجه ولمسته المميزة لشعره التي تعكس أصالته كما فعل لمبارك جلواح.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا/ المراجع العربية:

1. الكتب:

[1] إقبال العرفج، الرومانسية في الشعر السعودي الحديث، ط1، إصدارات النادي الأدبي بالإحصاء، السعودية، 2009م

[2] عبد الراق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب مع ترجمات و نصوص لأبرز أعلامها (دراسة)، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.

[3] محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر (مرحلة الرواد دراسة)، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م

2. الأطروحات الجامعية:

[1] بن ناشي أمال، فيلالي إسلام مختارية، صورة المرأة في الشعر الجزائري الحديث (قصيدتي أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة " وداعا غرامي" لمبارك بن محمد جلواح، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب جزائري، المركز الجامعي- بلحاج بوشعيب- عين تموشنت، الجزائر 2019م.

[2] بودية شهيناز، التجربة الشعرية الجديدة (اللغة والمضامين)، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي تخصص تحليل الخطاب وعلم النص، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس الجزائر، 2018م

[3] حمة دحماني، ظاهرة الغربة في شعر مفدي زكريا، رسالة ماجستير في الأدب الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2005م.

[4] سلاف بوحراثي، ديوان " دخان اليأس" لمبارك جلواح(دراسة أسلوبية)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية و آدابها فرع اللغويات، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجائر، 2006م.

[5] كيلاس محمد عزيز العسكري، الاغتراب في شعر الشاعرين (محمود درويش و شيركو بيكة) دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2010م)

3. المقـــالات:

[1] إبراهيم مشارة، مبارك جلواح رائد الشعر الرومانسي في الجزائر، مقال (الحوار المتمدن) العدد 5565، المحور: الأدب و الفن، 2017.06.28 م 16:20سا.

[2] محمد سيف الإسلام بوفلاقة (2020م)، الاغتراب و الحنين مفاهيم و دلالات (08أغسطس 2020م 10:33) https://www.raialyoum.com/index.php

4. المجلات:

[1] جاب الله أحمد، الاغتراب في حياة و شعر مبارك جلواح، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، العدد الأول، قسم الأدب العربي جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2004م.

[2] علي عبد الخالق علي، ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، العدد السابع، السنة السابعة، جامعة قطر، 1995م.

ثانيا/ المراجع الأجنبية:

[1] Pièrre Ripert, Dictionnaire anthologique des classiques de la poésie Française, imprimé en France par Brodarrd et Taupin, Usine de la Flèche (Sarthe), août 1998

الهوامش:

[11] محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر (مرحلة الرواد دراسة)، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م، ص: B

[2] علي عبد الخالق علي، ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج، مجلة مركز الوثائق و الدراسات الإنسانية، العدد السابع، السنة السابعة، جامعة قطر، 1995م، ص:97.

[3] بودية شهيناز، التجربة الشعرية الجديدة (اللغة و المضامين)، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي تخصص تحليل الخطاب و علم النص، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس الجزائر، 2018م، ص: 180.

[4] كيلاس محمد عزيز العسكري، الاغتراب في شعر الشاعرين (محمود درويش و شيركو بيكة) دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2010م) ، ص: (19، 21، 23)

[5] محمد سيف الإسلام بوفلاقة. (2020)، الاغتراب والحنين مفاهيم ودلالات، (08أغسطس 2020- 10:33) https://www.raialyoum.com/index.php

[6] حمة دحماني، ظاهرة الغربة في شعر مفدي زكريا، رسالة ماجستير في الأدب الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2005، ص:(40، 46)

[7] المرجع نفسه، ص: 32.

[8] علي عبد الخالق علي، ظاهرة الاغتراب و صداها في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج، ص: (99، 100، 101)

[9] إقبال العرفج، الرومانسية في الشعر السعودي الحديث، ط1، إصدارات النادي الأدبي بالإحصاء، السعودية، 2009م، ص: 103.

[10] كيلاس محمد عزيز عسكري، الاغتراب في شعر الشاعرين (محمود درويش و شيركو بيكة س)، ص: (19، 20)

[11] المرجع نفسه، ص: 21.

[12]Pièrre Ripert, Dictionnaire anthologique des classiques de la poésie Française, imprimé en France par Brodard et Taupin, Usine de la Flèche (Sarthe), août 1998, Ipd: 128,

- Alphonse de Lamartine: شاعر رومانتيكي كبير و قاص و مؤرخ، ولد في ماكون Mâcon بفرنسا سنة 1790م و نشأ في وسط مثقف متدين أتاح له العلم و المطالعة و التأمل و الأحلام، كتب الشعر مبكرة و قام برحلة إلى إيطاليا أغنت شعره بألوان عذبة جديدة، و بعد تجربة حب عنيفة كتب (التأملات) سنة 1820م و في

عام 1823م أصدر (التأملات الجديدة و موت سقراط) و غير ذلك من الأعمال، شغل منصب وزيرا للخارجية فرئيسا للحكومة المؤقتة توفي سنة 1869م.

[13] Ipd : 128

[14] عبد الراق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب مع ترجمات و نصوص لأبرز أعلامها (دراسة)، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م، ص: 85.

[15]Pièrre Ripert, Dictionnaire anthologique des classiques de la poésie Française, imprimé en France par Brodard et Taupin, Usine de la Flèche (Sarthe), août 1998, Ipd: 128,

[16] عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب مع ترجمات و نصوص لأبرز أعلامها (دراسة)، ص: 85.

[17]Pièrre Ripert, Dictionnaire anthologique des classiques de la poésie Française, ipdM 128.

- ينداح: أي ينتشر.

[18] عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب مع ترجمات و نصوص لأبرز أعلامها (دراسة)، ص: 86.

[19] Pièrre Ripert, Dictionnaire anthologique des classiques de la poésie Française, ipdM 129.

[20] Pièrre Ripert, Dictionnaire anthologique des classiques de la poésie Française, ipdM 129.

[21] عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب مع ترجمات و نصوص لأبرز أعلامها (دراسة)، ص: (86، 87).

[22] شهيناز بودية، التجربة الشعرية الجديدة (2010-2000م) (اللغو و المضامين)، أطروحة دكتوراه الأدب العربي تخصص تحليل الخطاب وعلم النص، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018م، ص: 180.

- هو مبارك بن محمد جلواح ولد بقلعة بني عباس قرب أقبو بولاية بجاية سنة 1908م نشأ في بيئة متدينة محافظة، تعلم القرآن و تلقى دروسه في العلوم اللغوية و الدينية على يد والده ، كما مرحلة أخرى أفادته في حياته الثقافية و الأدبية و أثرت في نفسه تأثيرا كبيرا و هي الفترة التي أجبر فيها على الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي بين (1928-1929م) و قد أتيح له الاطلاع على مصادر اللغة و الأدب في هذه الفترة و قد أسهم ذلك في فتح وعيه على الحياة، و نبّه ذهنه و عقله ووجدانه لما يعيشه شعبه و قد أرسل إلى باريس من أجل الدعوة إلى مبادئ جمعية العلماء الإصلاحية و هذه الرحلة إلى باريس قد أثرت على نفس الشاعر و على حياته الأدبية ، كا مبارك جلواح يقاسي من آلام الغربة مما أثار في نفسه أشياء غريبة و انتابه قلق شديد فثبتت في أعماقه ثورة جامحة ضد الحياة قادته إلى نهر السين فألقى بنفسه و توفي غرقا سنة 1943م له ديوان مشهور بعنوان (دخّان اليأس.)

[23] جاب الله أحمد، الاغتراب في حياة و شعر مبارك جلواح، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري)، العدد الأول، قسم الأدب العربي جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2004م، ص: (138، 147، 148)

[24] سلاف بوحراثي، ديوان " دخان اليأس" لمبارك جلواح(دراسة أسلوبية)، مذكرة ممقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية و آدابها فرع اللغويات، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجائر، 2006م، ص: 33.

[25] إبراهيم مشارة، مبارك جلواح رائد الشعر الرومانسي في الجزائر، مقال (الحوار المتمدن) العدد 5565، المحور: الأدب و الفن، 2017.06.28 م 16:20سا.

[26] بن ناشي أمال، فيلالي إسلام مختارية، صورة المرأة في الشعر الجزائري الحديث (قصيدتي أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة " وداعا غرامي" لمبارك بن محمد جلواح، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب جزائري، المركز الجامعي- بلحاج بوشعيب- عين تموشنت، الجزائر،2019م، ص: 42.